

ديالى

شموخ الجبال

المقدمة

عقب التحول الكبير الذي شهده العراق في عام ألفين وثلاثة من طي صفحة الدكتاتورية، وثقافة القطب الواحد، إلى مزاولة العيش في خضم المتعدد والتساؤلات المستجدة ، تفجر النبض الشعبي على الساحة العراقية متعثرا مرة، ومستويا على سوقه مرة أخرى.

لقد مثل قطار الانتخابات، علامة التحول الفارقة التي تشي بالقادم الديمقراطي الجديد ألا وهو العراق. حيث تمت مزاولة الانتخابات بوصفها فعلا ديمقراطيا بناء، يتمخض عن خلاصة (كارزمية)، تأخذ بيد الشعب إلى منطقة النور وبر الأمان.

هذه الخلاصة، تمارس تمظهراتها على أكثر من صعيد حسب الشكل الهرمي للدولة العراقية الحديثة، حيث انتقل العراق إلى ما بعد الدولة، بعد أن كان يعيش مرحلة ماقبلية الدولة، حيث يتوزع فيها الحطام على أكثر من جهة.

وليس بخاف على أحد حدث انتخابات مجالس المحافظات الأخيرة، وما أفرزته من خرائط سياسية ستعمل على رسم تشكيلات المشهد العراقي المقبل، ولعل أهم ما يلاحظ فيها أنها مؤرست في كل محافظة من محافظات العراق، آخذة بنظر الاعتبار خصوصية كل محافظة، وما تحمل في جغرافيتها السياسية، والخدمية، والاقتصادية من راهن وراهنات.

حيث كل محافظة شابته أختها في الإطار، واختلفت عنها في الصيغة، ولا ننسى أن هذا التباين يعكس بشكل جلي تباينات خفية، وهي إما حزبية، أو ظرفية، والتي مثلت الأديم الذي تحرك عليه الناخب العراقي، ذلك الناخب البسيط الذي غيرت ورقة اقتراعه الخاصة، مزاج العقل السياسي المحرك لجهاز الدولة الكبير في هذا البلد.

وما يلاحظ أيضا أن هذه الانتخابات تختلف عن سابقتها من عدة أمور:

الأول: ان الانتخابات الأولى كان يحركها الهاجس الطائفي، فبعد أن فرضت الفوضى الخلاقة وجودها على الساحة العراقية، بات كل عراقي يبحث عن جماعة تحميه من الذئب المفترض، والذي يتربص بالغنم القاصية كما أنها (أي: الأولى)، لم يحدث فيها تزوير بصورة تسرق الأضواء، وتهيمن على مسارها.

والثاني: ان المواطن العراقي ربما قد أشبع إحساسه الطائفي الإيجابي، والذي كان يودي به سابقاً إلى حبل المشنقة، فبات في الانتخابات اللاحقة يتمعن في البرنامج الانتخابي للأحزاب، ويدخر صوته لمن يأتي له بالخدمات الضرورية الملحة في الحياة اليومية، ضارباً عرض الحائط ما يتحدث به لسان الاحزاب، بخصوص ثقافة الرمز، والنواح على أمجاد الماضي، والذي يجعل المتكلمين به يمشون للأمام وتحديقهم أبداً نحو الوراء.

الثالث: ان انتخابات مجالس المحافظات، برز فيها التزوير كوسيلة تتوسلها القوائم الخاسرة لإعادة إنتاج نفسها من جديد.

كل هذه الأسباب، وغيرها وقفت وراءها إرادة الناخب العراقي عارية في الميدان، تحركها الرغبة والأمل في خدمات أفضل، ومستوى اقتصادي أمثل، كأقصى غاية في المنى.

ونحن إذ نقف أمام هذه التساؤلات، محاطين بتحديات مختلفة وكثيرة، تحدونا الرغبة في تحقيق المواطنة الحققة قولاً وفعلًا، كي لا نتحدث مرة أخرى عن عنق زجاجة جديد علينا الخروج منه ولو بجلدنا، بل علينا أن نثري السعي من أجل عراق متعدد الأطياف، وموحد الرؤى، لا يستهدف سوى البناء والاعمار، وإبداء الوفاء للدماء التي سالت على هذه الأرض الطاهرة، من أجل الانسان.

الدكتور إبراهيم الجعفري كعادته، وهو ينطلق من وطنيته المبدئية في النظر الى كل الاستحقاقات الديمقراطية، زار محافظات عراقية عدة، اثناء حملة انتخابات مجالس المحافظات، مذكرا اهلها بان الاختيار لعضوية مجالس المحافظات مسؤولية وطنية، وانهم اهل لهذه المسؤولية، داعيا اياهم الى النظر بتبصر لما سبق، وتحديد الاتجاهات اللاحقة، لما يحقق خدمة العراق اجمع.

إن مؤسسة الكتاب الثقافية إذ تقدم اصدارها هذا والمسمى (رحلة الكلمة)، فهي راغبة بان يطلع العراقيون جميعا على نوعية متميزة من الخطابات، والتي تنظر الى العراق ككل قوي، يتكامل بعضه مع البعض الاخر، حيث يمتعنا الجعفري بلغته المتميزة، وبأسلوبه الجميل في الطرح.

نريد احترام الآخر، لا نريد من يحاول أن يختزل الآخرين في ذاته، بل من يمتد بذاته إلى الآخرين، ويشعرهم أنه أب وفيّ، مخلص، لا يحابي بين المواطنين، لا نريد أن تتعمق النعرة الطائفية، نريد تعايشاً مذهبياً يُوصل حاضرننا بتاريخنا المشرق، الذي خلف لنا أروع آيات التعايش بين أبناء الديانات، والمذاهب، والقوميات.

.....

نصيحتي لكل متحدث من الذين يعتلون منابر الفضائيات، أن يرتقوا الى مستوى الخطاب بالفعل، وليس بالقول والادّعاء، فما من أمة إلا ولها خطيب، وما من ثورة إلا ولها خطيب، بيد أن قيمة الخطابة تُستمد من القيم والمبادئ، وإذا أراد الخطيب أن يعرف مبلغ كلامه في قلوب الناس، فليُنظر إلى مبلغ كلامه في قلبه، وإذا أراد الخطيب أن يدرك إلى أي مدى يتغلغل في نفوس المتلقين، عليه أن ينظر إلى عمق نفسه من أي عمق خرجت.

.....

نريد لمجلس المحافظة أن يتمتع بصلاحياته الدستورية، وأن يعمل ليل نهار من أجل إخفاء ظواهر الشذوذ من الفقر، والمرض، والحزن، والخوف، فشعبنا قوي ولن يتراجع.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال زيارته مدينة الخالص بتاريخ

2009/1/29

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمّ السلام على أشرف الخلق أجمعين سيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين وجميع عباد الله الصالحين..

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته..

قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:

((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)).

من مدينة الخالص، صاحبة العناوين.. عنوان الشهادة بفضل ماقدمت من خيرة أبنائها على مذبج الحرية.. من مدينة الخالص عنوان الثروة الاجتماعية المتنوعة.. المدينة التي تعيش تنوعاً ثقافياً متعددًا، أحيي كل أبنائها وبناتها، وأخص بالذكر عوائل الشهداء الذين عبّروا عن عمق قيمهم، وعن عمق معاناتهم، الذين طالما قرعوا في عالمنا أجراس التذكّره، وكذا السجناء السياسيين، حيث يجب أن نفي لهؤلاء جميعاً.

من مدينة الخالص أخطب بعقوبة كلها، وأخطب العراق كله.. أخطب الفنانين، والأدباء، والشعراء، والعلماء، والمفكرين، والمختصين، والمحترفين.. أخطب عشائرها بني تميم، والعزة، وشمر، والعبيد، والبوعامر، والجبور، والباوية، والععبكية، والعشائر الأخرى كافة التي لم يُتَح لي الوقت أن أذكرها اسماً اسماً، وعشيرة عشيرة، تحية لكل العشائر التي تشكل خيوطاً رائعة، ننسج منها نسيجنا المتنوع.

هذه المدينة المباركة، وهذا المجتمع المتنوع، يعكس بتنوعه تنوع العراق بتركيبته القومية بعربه، وتركمانه، وكرده الذين يمتدون إلى مناطق مختلفة لهذه المحافظة الباسلة، هذه المدينة بتكويناتها المذهبية المنسجمة الرائعة، تأبى إلا أن تتقدم على مسرح التعامل من موقع الاختلاف وهي قوية، حيث تستحضر المشترك الفكري، والقيمي، والإنساني، والمبدئي؛ لتتكسر على صخرتها كل محاولات الإرهاب والفتن الطائفية.. هذه المدينة أبت إلا أن تعيش شموخاً كشموخ جبال حميرين، وتعيش شموخ نخلها الباسق، وأشجارها الغنّاء التي كست هذه الأرض؛ لتعكس وجهاً رائعاً.

من هذه المنصة، ولشهداء مدينة الخالص الذين عرفت بعضهم، وعشت معهم سوية أيام المعارضة، ولعل واحداً منهم هو الحاج كاظم أبو زينب (رحمة الله عليه)، والكثير الكثير ممن لا أستطيع أن أحصيهم في هذا الوقت الضيق، لقد واكبت مجلس إسناد ديالى في البيت الذي أسكن فيه، وعشت معهم، ومن خلالهم المحنة التي أحاطت بديالى، ومحاولات الإرهاب التي حاولت أن تزرع الفتن، وماكنة الموت التي حاولت بشكل مستمر أن تنتشر الرعب، والخوف، والموت بين الأبرياء.

لقد كان مجلس إسناد ديالى رائعا جداً حين ألتقيهم بشكلهم المتنوع سنة، وشيعة من عشائر مختلفة عسكريين، ومدنيين، كان جل همهم سلامة هذه المحافظة، وكانوا خلية نحل عكفت على أن تنتصر لكل مظلوم فانتصرت.. إن المحنة التي كادت أن تطبق على مجتمع ديالى، لو أنها أطبقت على أية منطقة أخرى لأصبحت رماداً، فقد حاول تجار الإرهاب، وأزلامهم من خارج العراق أن يزرعوا الفتن هنا، وأن

يغتالوا الحرائر، حتى وصلت الجريمة حداً بشعاً إلى الدرجة التي يُقتل فيها طفل رضيع، ليس له من العمر إلا أربعة أيام.

مدينة الخالص، بل محافظة ديالى كلها تأبى إلا أن تعيش شموخاً ليس أقل من شموخ جبال حميرين، شموخاً معنوياً لا يطاق رأسه لأحد مهما كانت عناوينه، ومهما كان جبروته، ومهما كانت أغراءاته.. أرقب معكم الخطاب عن قرب، وأجد فيه تطوراً على لسان هذا وذاك، وأتمنى أن يرافق تطور الخطاب، تطوراً عملياً لا مجرد تكرار كلمات يلقونها على العامة؛ ليخدعوا الشعب من خلالها، حيث بدأ البعض يردّد أهمية الوحدة، وبدأ البعض يردّد أهمية كلمة الشعب، ومكافحة الفقر، ونتمنى أن يكون هذا التطور حقيقياً مقروناً بالعمل، وإلا كان مصداقاً للآية القرآنية الكريمة: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)).

إن الذين صدحوا بصوتهم، قدموا دماءهم هوية وصدقاً على صدق خطابهم، فالصدر الأول كان خطيباً، وقدم نفسه من أجل شعبه، والصدر الثاني كان خطيباً، وقدم نفسه من أجل شعبه هذان (الصدران)، كانا يتمتعان بالشجاعة والوفاء، وليس باحتراف المفردات، شعبنا لا ينظر إلى الخطيب من خلال كلماته، إنما ينظر إلى الخطيب من خلال سلوكه، عندئذ يحق له أن يتكلم، فلا قيمة للكلمة ما لم تمش بخط متوازٍ، وتخضع بالفعل.. لا نريد أقوالاً فارغة.. نريد كلمة معبرة عن عقل متنوّر، وعن قلب مفعم بالإيمان هذه هي غايتنا.. لا نريد مجتمعاً يختنق بالآخر.. نريد مجتمعاً كما هو مجتمع ديالى ينفّث على الآخر المذهبي، الذي نجده هنا في ساحة ديالى، والآخر القومي الذي نجده كذلك في ساحة ديالى، والآخر السياسي الموجود أيضاً في ساحة ديالى.. نريد احترام الآخر.. لا نريد من يحاول أن يختزل الآخرين في ذاته، بل من يمتد بذاته إلى الآخرين، ويشعرهم أنه أب وفيّ، مخلص، لا يحابي بين المواطنين.. نريد سُنياً يقبله الشيعة، ونريد شيعياً يقبله السنة.. لا نريد أن تتعمّق النعرة الطائفية.. نريد تعايشاً مذهبياً يُوصل حاضرنّا بتاريخنا المشرق، الذي خلف لنا أروع آيات التعايش بين أبناء الديانات، والمذاهب، والقوميات.

لذلك نصيحتي لكل متحدث من الذين يعتلون منابر الفضائيات، أن يرتقوا إلى مستوى الخطاب بالفعل، وليس بالقول والادّعاء، فما من أمة إلا ولها خطيب، وما من ثورة إلا ولها خطيب، بيد أن قيمة الخطابة تُستمد من القيم والمبادئ، وإذا أراد الخطيب أن يعرف مبلغ كلامه في قلوب الناس، فليُنظر إلى مبلغ كلامه في قلبه، وإذا أراد الخطيب أن يدرك إلى أي مدى يتغلغل في نفوس المتلقين، عليه أن ينظر إلى عمق نفسه من أي عمق خرجت.. لا نريد من مواسم الانتخابات أن تكون

صراع الخطباء والخطابات.. نريد أن نحقق فرقاً حقيقياً يتقدم فيه القوي على الضعيف.. فالقوة صفة من صفات الله الحسنى (تبارك وتعالى)، حيث يجعل لنا القرآن الكريم القوة معياراً انتمان من نريد، قال تعالى :

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَ مِنْ الْفُقَرَاءِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)).

نريد قوياً بالقيم وليس بالعضلات، قوياً بالبذل وليس بجمع المال.. نريد قوياً بالإنصاف وليس بالمحاباة.. نريد هذه القوة أن تنتشر حتى يخاف الخارج عن القانون، ويأمن المواطن.. لننظر إلى الانتخابات على أنها فرصة لتحقيق فرق نوعي، وأساسي ينتقل فيه شعبنا من حالة إلى حالة جيدة.. نريد من مجموعة من ترسو عليهم قنوات شعبنا، وأبناء مدننا أن يشكلوا كلاً متكاملًا، خصوصاً هنا في مدينة ديالى هذه المحافظة المباركة.. نريد منهم جميعاً أن يتكاملوا، ويصبحوا مرآة حقيقية تعكس بألوانها ألوان أبناء هذه المحافظة.

ينبغي أن تكون الانتخابات مباراة حقيقية، وتسابقاً حقيقياً لخدمة المدينة حتى نعيد لها اسمها، وهو (سلة العراق)، ونعيد لها موقعها المتقدم على مستوى العطاءات المختلفة.. لنعالج الأسباب التي تحول دون تطور الزراعة، و سوء توزيع المياه، وتفشي الأمراض الزراعية، وانخفاض مستوى الخدمات، والكثير من الأمور، لذلك نتطلع إلى أبنائنا وبناتنا أن يغتنموا فرصة الانتخابات، ويضعوا في حساباتهم أنهم أمام أمانة الله (تبارك وتعالى) وهو سائلهم عنها، ومجتمعنا سيسألهم عنها أيضاً.

نريد أن نحقق فرقاً كبيراً في السنوات الأربع المقبلة، ونستحضر السنوات الأربع المنصرمة، هذا ولا يكون ذلك إلا عندما نركز على شروط الأمانة، والنزاهة، والقوة، والكفاءة، والتضحية، ومعايشة الفقراء، ومحاربة ظواهر التخلف؛ لأننا نعتقد أن هذا هو من صميم عملنا في مجلس المحافظة.

نريد لمجلس المحافظة أن يتمتع بصلاحياته الدستورية، وأن يعمل ليل نهار من أجل إخفاء ظواهر الشذوذ من الفقر، والمرض، والحزن، والخوف، فشعبنا قوي ولن يتراجع، فقد واجه أعتى دكتاتوريات، وعلى مسرح هذه المحافظة قدم أبنائها خيرة ما لديهم بمواجهة الدكتاتور المقبور، ثم واجهوا النعرة الطائفية وما انحنوا أمامها، وظل السنة والشيعية يتعايشون، وكسروا شوكة الإرهاب الذي حاول أن يغيّر من بنية هذه المدينة، وحاول أن يعمل على تدميرها لكنها لقنته درساً، ونحن على يقين أن الذي ظهر من بطولات هذه المدينة، وأن الإنجاز الرائع الذي حققه أبناء هذه المدينة، ما ظهر منه إلا القليل، وأن التاريخ سيكتب لهم بطولات أخرى لم تشق طريقها بعد إلى العالم.

ليس من السهل أن تواجه مدينة بظروفها الاستثنائية مثل ما واجهت ديالى؛ حتى تسجل انتصارات رائعة على أكثر من صعيد، فهذه المدينة التي تعكس بعنوانها عنوان العراق كل العراق بلا استثناء؛ لا بد أن تعيش منعمة، مرفلة بالعز، تأخذ حقها الطبيعي من مواردها المختلفة.. لا بد من أن يضع المرشحون في حساباتهم، أن جدولهم الحقيقي هو إحداث الفروق النوعية على كل المستويات من دون استثناء، وأن يراعوا خصوصيات المحافظة، ويعملوا على تقوية المحافظة بالخدمات، والانتاج، ومعالجة البطالة، وتقوية الأمن.. فأمن العراق اليوم، لم يكن كما كان سابقاً.

أنا أدرك، أن ديالى بجملة ما تميزت به هو أنتماء ابنائها الى القوات المسلحة، وإذا كان المفهوم السابق للقوات المسلحة، هو قوى الأمن الصدامية، فإن الأمن والقوات المسلحة اليوم، تفتح صدرها للغياري من أبناء ديالى؛ حتى ينخرطوا برغبتهم مع مبادئهم، وقيمهم، وأمن بلدهم، لقد ولّى الزمن الذي كان فيه رجال الشرطة والجيش، يمثلون وجه السلطة ضد الشعب، اليوم القوات المسلحة بمختلف فصائلها أمينة على الشعب، وعلى كل المواطنين.

لا يكفي أن ننحت بعض الخطابات من أجل تمرير السياسة السابقة نفسها، بل يجب أن نعيد النظر في حساباتنا، ومنهج عملنا بالرموز والشخصيات التي نقدمها على المسرح، ويجب أن تكون رموزاً بمستوى المبادئ، والقيم، والعمل الدؤوب حتى يطمئن شعبنا بأن عداد الحركة قد بدأ، وأن عربة البناء، والتنمية، والزراعة، والخدمات، وكافة الأمور بدأت تتحرك نحو التكامل، وترتقي نحو طريق الصعود.

كل مراجع الدين يؤكدون على ضرورة خدمة المواطنين، وقد أوصلوا رأيهم بشكل صريح لكل المسؤولين، وهو الاهتمام بالمواطنين جميعاً من دون تفریق، وقفوا موقفاً رائعاً في الأزمات الحادة التي كادت أن تعصف بالبلد، دونكم حدثي جسر الأئمة، وسامراء، كيف انطلق مراجع الدين من ضرورة الحفاظ على وحدة الشعب، وحفظ اللحمة بين السنة والشيعة.

تحية حب وإكبار إلى جبال ديالى.. إلى نخيل ديالى.. إلى كلمات ديالى الجبلية السامقة.. إلى المشاعر الرائعة.. إلى شهداء ديالى.. إلى اهل ديالى وما قدموا من العواطف، والكلمات الطيبة التي تتصاغر أمامها الكثير من الكلمات.. ولا يسعني إلا أن أبادل حبهم حباً، وأبادل كلماتهم بأحر الكلمات، وأنا على يقين أن مجتمع ديالى الذي صنع ما صنع، هو صاحب تلك الإرادة الحديدية الفولاذية التي لم تتبدل، وهذا ما نقرأه في عيون أطفالهم وكبارهم، رجالهم ونسائهم، وبسواعد عمالهم، وفلاحهم،

وستبقى هذه الإرادة الفولاذية الفذة سِرَّ انتصاركم، وسر التطور في العراق، والله
(تبارك وتعالى)، ناصركم مادمتم مع الله.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.